اعلان

شركة التأمين على الحياة

« المعروفة باسم الاكيتابل المؤسسة بمدينة نيويورك باميركا سنة ١٨٥٩ »

لا شك في ان افضل ما يجب ان يسعى اليه الانسان انما هو العناية بمستقبل امره وادخار شيء من المال لشيخوخته وهذا شأن قد اصبح من اهم شؤون الغربيين كلهم بالاطلاق ولذلك تقدموا وتأخر الشرقيون عنهم وقد تألفت لهذا الغرض شركات كثيرة عندهم ولكن تبين بالاختبار الكثير ان افضل هذه الشركات واغناها هي شركة التأمين على الحياة التي تأسست في نيويورك براسمال قدره الف وثلاثمئة مليون فرنك وهو قدر طائل لم تبلغه شركة قط ثم ان هذه الشركة ذات شروط نافعة للغاية فهي تنفع المتعامل معها نفعاً كبيراً حين حياته ومعاملته معها باموالها وفوائدها ولاقربائه اعظم نفع منها بعد وفاته فهي مفيدة جداً من كل الوجوه وذلك لان المتعاملين معها هم الذين يقتسمون وحدهم الارباح التي تحصل عليها الشركة لعدم وجود مساهمين

فلذلك نحض جميع من يحرص على نفسه حين حياته ويريد نفع عائلته بعد وفاته ان يعامل هذه الشركة فانها اعظم كافل له ولعائلته بالغبطة والسعادة ومن يجرب يتحقق

ولزيادة التوثق مما ذكرنا والاستدلال على حقيقة الشركة يمكن الاستعلام عن ذلك من بنك الكريدي ليونه

اما الوكيل في الاسكندرية فهو المسيو ارتور كاليا المقيم في ممر اديب في شارع الرمل واما في القاهرة فهو المسيو اندره فان هام الوكيل العام في الاسماعيلية

أنيس المجلس

﴿ الجزء الرابع — السنة الثانية ﴾

﴿ الاسكندرية في ٣٠ افريل (نيسان) سنة ١٨٩٩ ﴾

﴿ الموافق ٢٠ ذي الحجة سنة ١٣١٦ ﴾

فصل

في المدنية ومكارم الاخلاق

فضل العرب

لو جاء الى هذه الدنيا الحاضرة رجل من اهل القرون الغابرة ونظر الى عالمنا هذا الجديد وما فيه من قصور شامخة وابنية باذخة وما تم للناس فيه من اسباب المدنية الكاملة وذرائعها الحافلة ورأى ما بين افراد العالم من الائتلاف العجيب والاجتماع الغريب وما يسعون اليه بجهدهم ليل نهار من جر المنافع والاحتيال على فوائد الطبيعة واكتسابها لتوهم ان الناس في هذا العصر اقرب الى الملائكة منهم الى البشر وتيقن ان مكارم اخلاقهم وطيب نفوسهم قد ترقت بالقياس الى ما وجده فيهم من المدنية التامة الى درجة لم يكن يحلم بها

احد من قبل حتى ليظن ان الشر قد امتنع كله من الدنيا ولم تبق الا المحبة والسلامة والوداعة وسائر مكارم الاخلاق وحسنات العواطف . ونكنه لو جال بين هذا الناس قليلاً وعاشرهم يسيراً لوجد ان هذه المدنية بعيدة عن مكارم الاخلاق او انها تبنى وتشاد بضعف تلك المكارم واضمحلالها ولرأى هذا العالم في تنازع شديد على البقاء ومسابقة عظيمة الى المسرات النفسية والجسدية وان الانسان منا يسعى جهده في اذية سواه ويجهد في سلب النعمة التي يلهو بها اخوه وان هذه المدنية ليست الا وهماً بل انها لم تكن الا من وراء تلك المزاحمة الشديدة على المسرات ومنافسة الانسان جاره والاستعلاء عليه ومن اجل ذلك نشأت على اثر هذه المدنية اخلاق سيئة لم تكن في نفوس البشر السابقين حتى صارت تقتضي قانوناً جديداً يعاقب عليها او ديناً جديداً ينهى عنها فان الصدق وهو من اجل مكارم الاخلاق قد امتنع تقريباً من كل هذا الناس حتى لم يعد عاراً بل لقد زاد وجل حتى صار يعد فخراً يزدهي به قائله وانت متى علمت ان الكذب ينطوي تحته كل اسباب الشر والفساد كالغش والضرر والنميمة والاغتياب والسعاية فقد علمت كم ساءت اخلاق الناس في هذه المدة وكم بعدت الثقة وفشت الخيانة ثم متى عرفت ان كل هذا العالم المجتمع بعضه على بعض اجتماع النمل يعيش بالتجارة التي امتدت في الدنيا كلها وتعلق بها كل فرد من ابنائها فقد هان عليك ان تعرف كم يتلو هذه التجارة من افساد الاخلاق وكم يتوصل الى المعيشة بسببها من ذرائع المضرة ووسائل الغش والخديعة

على ان عقل الانسان قد سما في عصرنا هذا سمواً غريباً يتجاوز حد التصور وانما العقل هو الحكمة والرشاد وسداد الطريقة والاحتيال على منع

اضرار الطبيعة وانتهاب خيراتها ولكن نفس الانسان وهي ادق جداً من عقله لم تترق شيئاً بالاطلاق بل لم تظل على حالها التي كانت عليها في العصور الخوالي بل كان وفور هذا العقل كأنه سبب اضعف قوة النفس وطيبها كما قلنا عن العقل والعلم في مقالة جنون العلماء في الجزء الماضي ولكنه لم يضعف المعرفة بنقائص النفس وعيوبها لان تلك المعرفة من شروط العقل ولذلك نجد الناس يعرفون مكارم الاخلاق ويعددونها فيقولون عن كل نقيصة تصدر ليس هذا من الشرف وليس هذا الصنع من شروط الانسانية ولكنهم يعرفون ذلك معرفة ويشيرون اليه اشارة فقط ثم لا يستطيعون مباشرته بعمومهم لان هذه المدنية قد افسدت نفوسهم حتى عصيت عقولهم واضعفت ارادتهم فصار الانسان كأنه مضطر لارتكاب الشر اضطراراً ولو كانت عندنا قوانين تقضي بمعاقبة من يؤذي اخاه بقوله وتصرفه كما يؤذيه بكفه وسلاحه لكانت منازلنا سجوننا وكانت دنيانا هذه كلها سجناً مقيداً لنا بدل ان تكون سجناً مطلقاً مباحاً

ثم مما يدلك على ان هذه المدنية قد افسدت عقول الناس وسلبتهم طيب نفوسهم واعتقادهم انهم صاروا يحتالون على الشر بمخالفة الدين هرباً من ارتكابه في مخالفة الشرائع والقوانين ولذلك تراهم يسرقون بعضهم بعضاً بالغش والكذب والتمويه الخفي وهو ما لا تعاقب عليه شريعة ويمتنعون عن ارتكاب الشر الظاهر الذي تعاقب عليه الشريعة وهي حيلة من حيل العقل ولدتها هذه المدنية وتجد ان العدوان العمومي الخفيف يقل جداً بتقدم هذه المدنية حتى لقد يأتي حين تمتنع فيه السرقة السرية بالاطلاق لقيام السرقة العلنية مقامها وهي لا يستطيع الانسان منعها بوجه من الوجوه اذ من يقدر منا ان يذهب

الى قاضٍ فيقول له هذا اغتابني بما نال به شيئاً كان من حقي نيله ومن يقدر ان يشكو رجلاً زاحمه في وظيفة او سابقه الى امله ومن يستطيع ان يعاقب انساناً لانه افشى سره او فضحه بما يمنع رزقه واكتسابه . كل هذه ذنوب عظيمة في عين الحقيقة لا يعاقب عليها احد ولا يمنعها الا مكارم الاخلاق وما مكارم الاخلاق الا الدين وانت ترى ان الاديان كلها قد اخذت تضعف بالتدريج كلما امتدت المدنية وكثرت الحيلة عليها

ولقد يقولون بل ان المدنية قد تحسن اخلاق الانسان وتزيد نبله وشرف نفسه لان المرء متى وجد نفسه لابساً حلة نفيسة او ساكناً منزلاً حسناً وبالتالي متى كان متحضراً يعاشر اخوته الناس وقد زادت تلك العشرة في الانة عريكته وحلاوة مشربه فانه يخجل ان يباشر دنيئات الاعمال والاقوال بل يكون نزيهاً عفيفاً ونحن نقول ان ذلك لصحيح وهو كل السبب في منع الضرر العلني ولكن هذا ليس بمكرمة خلق ولا بطيب نفس بل هو عادة وتقليد وان ذلك الرجل البدوي المرتدي اخلق رداء والمعاني ذل المعيشة قد يكون اطهر منه نفساً واحسن خلقاً وشيمة وقد تصنع معه جميلاً واحداً في عمرك فلا ينساه الى الابد وطالما رأينا الرجل الحسن البزة الرقيق العشرة الكثير الصحبة يجفوك وينسى ودادك لاقل هفوة ويزاحمك ويسلوك لادنى مغنم

واذا شئت البرهان على ذلك فانظر الى رجال القرى والمزارع في عصرنا هذا المتمدن تراهم كما انهم ابعد الناس عن التجارة والمزاحمة في المعيشة ابعدهم ايضاً عن الغش والخداع وكما انهم اكثر من جيرانهم المتحضرين وسكان المدن جهلاً بقوانين المدنية وشروطها الظاهرة العرضية اكثرهم علماً بشروط

المعروف والاحسان والنجدة والمعونة حين وقوع المصائب بل انت تجد هذا حتى في فقراء المتمدنين وعامتهم الذين يرون المدنية رؤية فقط دون ان يباشروها فترى الملاح المسكين تنكسر سفينته بين اثناء الموج المتلاطم وهو يرى الموت متطلعاً اليه بكل عين والبحر فاغراً افواهه من كل جهة فيكون اول ما يبدو له ان يخاص الطفل الصغير والامرأة الضعيفة حتى اذا قضى كل شروط الانسانية وواجبات النجدة والمعونة بسط يديه مستقبلاً الموت من بين تلك الامواج وجعل لحده سفينته في ذلك اليم الهائل وترك رجال التمدن والحضارة من ركاب تلك السفينة يزحم بعضهم بعضاً حتى ليقتل الرجل اخاه وهو يدافعه للوصول الى موضع النجاة او للتعلق بادنى حبال الحياة مع ان ذلك الملاح البدوي الخلق والطبع كان ابصر منه بابواب الهرب واقدر منه على اسباب النجاة

وانظر الى العامي الفقير الذي يمشي عريان حافياً في الازقة بين جماهير المرتدين احسن الملابس والمتحلين بانفس الحلى تراه اذا اشتعلت النار في منزل كان اول من حركته نفسه الطيبة لانقاذ المحترق ومعونة المتضايق حتى لقد تهوّن عليه مروءته ان يحترق ويهلك في سبيل خلاص غيره وتجد المتمدن المتعلم في تلك الحالة وهو يكاد يحس ان النار تحرقه ولو كان منها على بعد ميلين فيسرع في الهرب منها اسراعها في الاحراق وهذه سوق الشفقة التي احترقت في باريز كانت اول دليل على ان المروءة لم تصدر الا من الفقير العامي الذي لم ير المدنية الا رؤية فقط ولذلك رأينا اشرف وسامات فرنسا معلقة على صدور سائق المركبة وابن السبيل وامثالهما شاهدة على مكارم الخلق عند الفقير لان انقاذ نفس من الموت انما هو من اشرف مكارم الاخلاق ونهاية ما يروم

الانسان من اخيه

واذا شئت ان تستدل على عموم مكارم الاخلاق وشيوعها في شعب كامل فقد لا تجد ذلك في عصرنا الحاضر لان مساوىء الاخلاق في المدنية الحاضرة قد اعدت العالم بعمومهم ولكن ارجع الى القديم وانظر الى جاهلية العرب الذين لم يكن لدى الواحد منهم كرسي يجلس عليه ولا لباس له غير تلك العباءة والذي لا يمر عليه من المنظورات غير صورة المضرب والناقة كيف كانت اخلاقه والى اي حد بلغت مدنية نفسه وعندها تعلم ان مدنية العرب في ذلك الحين كانت اعظم مدنية يرجوها الانسان ويتمناها بل يتمنى لو ظلت الى الان وانقطع عنا بسببها كل هذه المدنية الجديدة التي افسدت اخلاق البشر وعلمتهم من الضرر النفساني اضعاف ما جاءت به من الخير والنفع الجسدي والعقلي

واذ قد امتد بنا القول الى هذا الحد فلا بأس ان نذكر لقراء الانيس شيئاً من دلائل الفضل ومكارم الاخلاق عند العرب فيعلموا منه ان تلك الامة العظيمة خليقة بان يصفها التاريخ بانها من اجل امم العالم وان الله تعالى قد اودع في طباع اهلها وركب في نفوسهم نهاية ما يريده لعباده من مكارم الاخلاق وحسن الصفات حتى اننا لو انصفنا اقوالهم وكلام العظماء منهم لوضعناها في جملة ما جاء به الانبياء الكرام . ولما كان من اجل مكارم الخلق وطيب النفس عفو الانسان عمن يجني عليه ومحبته قريبه كنفسه فهاك ماقاله معن بن اوس في نسيب له

وذي رحم قلمت اظفار ضغنه ... بحلمي عنه وهو ليس له حلمُ
يحاول رغمي لا يحاول غيره ... وكالموتِ عندي ان يحل به الرغم

ويشتم عرضي في مغيبي جاهداً ... وليس له عندي هوان ولا شتم
اذا سمته وصل القرابة سامني ... قطيعتها تلك السفاهة والاثم
يود لو اني معدم ذو خصاصة ... واكره جهدي ان يخالطه العدم
فما زلت في ليني له وتعطفي ... عليه كما تحنو على الولد الام
وصبري على اشياء منه تريبني ... وكظمي على غيظي وقد ينفع الكظم
رأيت انثلاماً بيننا فرقعته ... برفقي احياناً وقد يرقع الثلم
وابرأت غل الصدر منه توسعاً ... بحلمي كما يشفى بادوية كلم
فاطفأت نار الحرب بيني وبينه ... فاصبح بعد الحرب وهو لنا سلم

ثم انظر الى هذا الشعر كم فيه من جهة تركيبه وحسن صوغه وايراده من الدلالة على مدنية الصناعة العقلية وارتقائها بين اولئك الاقوام وكم فيه من الدلالة على شرف النفس ووصولها الى اسمى درجات الاحسان والمعروف والانسانية الحقيقية عند امة العرب الكريمة

ثم نحن نعتد من حسن الخلق وكرمه شدة العطف على اولادنا والعناية بهم وكثرة الجزع لما ينوبهم من المكاره لان رقة العواطف وتأثرها من اكبر العوامل على منع المضرة والدعوة الى الرفق والاشفاق وذلك ما قاله حطان بن المعلي في هذا المعنى

لولا بنيات كزغب القطا ... رُددن من بعض الى بعضِ
لكان لي مضطرب واسع ... في الارض ذات الطول والعرض
وانما اولادنا بيننا ... اكبادنا تمشي على الارض
لو هبت الريح على بعضهم ... لامتنعت عيني من الغمض

أليس هذا الشعر من اقوى الادلة على فضل العرب ولطف شعورهم

واحساسهم وانهم على كونهم كانوا يئدون بناتهم فقد كانوا يعطفون عليهن كل العطف ويجعلون اشعارهم اشبه بالوصايا الدينية بهن

ولقد كان العرب من اشد امم الارض غارات وحروباً واكثرها ازدهاء وافتخاراً بالقتال حتى قل ان يخلو لشاعر لهم اشارة في قوله الى الحرب والافتخار بالنصر فيها بل ان الحروب هي التي حسنت اشعارهم وكانت من اكبر الاسباب على اشتغالهم بالقريض والتنافس به ولكن لو نظر ابن هذا العصر في بعض اقوالهم لوجد ان محاسن اخلاقهم وشدة اشفاقهم طالما كانت تدفعهم الى كرهها والوصية بمنعها ولا سيما بين العشيرة الواحدة او العشيرتين المتصاهرتين. قال العديل بن الفرخ العجلي في مثل تلك الحال

ظللت اساقي الموت اخوتي الأُلى ... ابوهم ابي عند المزاحة والجدِ
اذا ما حملنا حملة مثلوا لنا ... بمرهفة تذري السواعد من صعد
كفى حزناً ان لا ازال ارى القنا ... تمج نجيعاً من ذراعي ومن عضدي
لعمري لئن رمت الخروج عليهم ... بقيس على قيس وسعد على سعد
لكنت كمهريق الذي في سقائه ... لرقراق آل فوق رابية صلد
كمرضعة اولاد اخرى وضيعت ... بني بطنها هذا الضلال عن القصد

وقال آخر يأمر بنجدة الفقير وينهى عن اذاه

ولا تخذل المولى اذا ما ملمة ... الت ونازل في الوغى من ينازله
ولا تحرم المولى الكريم فانه ... اخوك ولا تدري لعلك سائله

وقال آخر

واستنقذ المولى من الاسر بعدما ... يزل كما زل البعير من الدحض
وامنحه مالي وودي ونصرتي ... وان كان مخي الضلوع على بغضي

فانظر الى هذا القول ايضاً كم فيه من الدلالة على الرفق والانسانية وارادة منع القتل بين رجال الجنس الواحد ثم انظر الى قومنا المتمدنين الحاليين هل تجد فيهم شاعراً قام في فرنسا او المانيا يوصي قومه بمنع محاربة هاتين الامتين المتجاورتين وهما من بلاد واحدة ومذهب واحد وهل حزن شاعر لمحاربة الانكليز مع الاميركان ايام الاستقلال الاميركي كما حزن هذا الشاعر مع انه قد قتل في تلك الحرب عدد قد يزيد عن سكان بلاد العرب كلها في ذلك العهد الذي قيل فيه هذا الشعر

هذا ولو شئنا ان نذكر كل مكارم الاخلاق التي كانت في نفوس العرب ونأتي على شواهد مما قالوه في العفاف والضيافة واغتفار الزلات والحض على الخير والمعروف او نستشهد على رقة نفوسهم وشدة تأثر عواطفهم بمراثيهم لضاق بنا المجال ولكننا نكتفي بما ذكرناه فانه كافٍ للدلالة ولا يخلو من فكاهة في قراءة ذلك الشعر البسيط الحسن

ولقد يقال ان هذا الشعر الذي ذكرناه واستشهدنا به انما هو كلام مثل كلام الوعاظ عندنا يأمرون الناس بمكارم الاخلاق ولكن لا يطاوعهم الا القليل فلذلك لا يكون كلام شعرائهم دليلاً على ان ذلك كان حاصلاً فيهم حقيقة وهو اعتراض يقتضي النظر ولكننا نرجح من بساطة تلك الاقوال ان العرب كانت اسمى امة في فضائل النفس الجوهرية وان هذه الاخلاق كانت منتشرة في نفوسهم كانتشار الواجبات العمومية عندنا الان

ولقد قلنا ان الكذب من اجل مساوىء الاخلاق النفسية لانه يجر كل مفسدة ويدعو لارتكاب كل جريمة فاذا شئنا زيادة الاستدلال على ان خلائق العرب كانت جميلة صادقة فان ندورة الكذب عندهم تكون اجل دليل. انظر

الى اشعارهم واوصافهم جميعها تجدها في غاية البساطة والصدق في القول وتجد ان هذا الغلو والاغراق المعروف الان في شعرنا الحاضر كان نادراً جداً عندهم فان الرجل منهم كان يمدح اميره او صديقه فلا يذكره الا بتمام ما فيه ولذلك يمكننا ان نتخذ اشعارهم كتاريخ صادق لهم ليس لحروبهم وما مر لهم من الوقائع بل لاوصاف عظمائهم في ذلك العهد حتى انك تقدر ان تتمثل كيف كان هرم بن سنان وكيف كانت اوصافه واخلاقه من اشعار زهير فيه على حين لا تستطيع ان تعرف كيف كان هرون الرشيد وسيف الدولة وامثالهما لكثرة ما غالى الشعراء في مديحهم وخرجوا فيه من الحقيقة الى الادعاء والكذب

ومما يدلك ايضاً ان الصدق قد بلغ نهايته عندهم انهم كانوا يذكرون تقصيرهم في اشعارهم ويدلون على عيوب نفوسهم فطالما اثنى منهم رجال الحرب في اشعارهم على اعدائهم وذكروا انهم شجعان وانهم لم يستطيعوا لقاءهم وطالما رأينا لاكابر شعرائهم وقد كانوا من اكابر العرب ورجال الحكم فيهم اشعاراً تدل على ان الواحد منهم كان سكيراً مفرطاً حتى لقد ساق الصدق امرىء القيس ان يذكر انه خليع جداً في نفس شعره مع ان الشعر شعره وله حق التصرف في اذاعته وكتمانه ولكن كأنه اراد بذلك ان يظهر لغيره حقيقة ذاته ويكون موئرخ نفسه. ولقد رثى قيس بن زهير حمل بن بدر الفزاري بابيات فقال فيها

ولولا ظلمه ما زلت ابكي عليه الدهر ما طلع النجومُ
ولكن الفتى حمل بن بدر بغى والبغي مرتعه وخيم

ولقد كان حمل بن بدر هذا ارتكب مظلمة مع حذيفة الفزاري فقتلا بسببها فلم يرض قيس بن زهير الا ان يذكر له هذا الظلم في شعره وهو ما

يدل على ان القوم كانوا يعشون وراء الصدق في كل اقوالهم والا لما قال زهير هذا القول ووصف صديقه بهذه النقيصة ولكن التناهي في الفضائل النفسية التي كانت ملء صدورهم قد دفعت ابن زهير لحكاية الصدق حتى يعتبر بقوله كل ظالم

وقال ذفر بن الحرث يذكر حرباً جرت بينه وبين قوم

وكنا حسبنا كل بيضاء شحمة ليالي لاقينا جذام وحميرا
فلما قرعنا النبع بالنبع بعضه ببعض أبت عيدانه ان تكسرا
ولما لقينا عصبة تغلبية يقودون جرداً للمنية ضمرا
سقيناهم كأساً سقونا بمثلها ولكنهم كانوا على الموت اصبرا

فانظر الى هذا العربي الصادق كيف يشهد بنفس شعره شهادة تبقى الى الابد بان اعداءه كانوا اشد من قبيلته اقداماً وبسالة وانظر هل ترى شاعراً من شعراء اميركا واسبانيا وهم في اعلى ذروة المدنية يقول مثل هذا القول عن حرب البلادين الاخيرة

وعلى الجملة فانك لو تفقدت اقوال العرب واوصافهم لرأيت حشوها الصدق وذكر الحقيقة وهو كما قلنا من اسمى فضائل النفس وبها نستدل على سائر تلك الفضائل

ثم ان لدينا دليلاً آخر على ان المدنية قل ان تجتمع مع مكارم الاخلاق المحضة ان هؤلاء العرب انفسهم لما تمدنوا وتحضروا اخذت تلك الاخلاق تضعف فيهم بالتدريج وامتنعت بساطة القول والصدق في الشعر والوصف فصرت ترى المادح يضع ممدوحه في منزلة الملائكة لكثرة ما يثني عليه وينسب اليه من الفضائل التي لا تجتمع في انسان حتى لقد مدح ابن هاني الاندلسي

المعز فكان في جملة ما قال فيه

ومتصل بين الاله وبينه ممرٌّ من الاسباب لم يتصرم

فجعله بهذا القول من جملة الانبياء ومثل هذه المبالغة الكثيرة قل ان رأيناها للعرب البادين لان الصدق لم يكن يطاوعهم على مثل ذلك

ثم انظر الى المتنبي الشاعر العظيم وشاعر سيف الدولة الخصوصي كم بالغ في مديحه والثناء عليه فقد كان سيف الدولة متصل الحروب مع الروم وكان ينهزم من وجوههم احياناً ولكن لم يذكر شاعر من شعرائه في ذلك العصر انه انهزم لان الاضطرار الى المديح الخالص الذي ادى اليه الكذب في الحكاية او التمليق وهو من النقائص كان يمنعهم عن ذكر الحقائق التاريخية في اشعارهم الا اذا كان فيها ما يثنى به على الممدوح

ولقد انهزم سيف الدولة مرة وتشتت كل رجاله وانهزم سيف الدولة والمتنبي ونحو اربعة من قواده حتى ان المتنبي نفسه حين كان فاراً يسبح على جواده علقت عمامته بغصن فانحلت عن رأسه فاخذ يصيح ويستغيث وتوهم من شدة الخوف ان الروم قد تبعوه ووصلوا اليه وقد وصف هذه الوقعة في شعره وذكر اكثر ما جرى فيها ولم يذكر انه هرب مع سيف الدولة وانه خاف وجزع ولم يكن ذلك الا لانه لا يريد ان يصدق ولاعتقاده ان ممدوحه يغضب لو ذكرت عنه في الشعر مثل هذه الحقيقة

ثم انظر الى المتنبي تجده يذكر الحقائق التي يظهر فيها فضله فقد دلنا بشعره على انه كان من جملة القواد او المحاربين مع سيف الدولة اذ قال في موقعة نهر بردى بطرسوس يذم شعراء سيف الدولة الذين لم يقاتلوا معه ويعرض بمديح نفسه

ليت الملوك على الاقدار معطية فلم يكن لدنيء عندها طمع

رضيت منهم بان زرت الوغى فرأوا وان قرعت حبيك البيض فاستمعوا

ولو لم يذكر لنا المتنبي بشعره انه قاتل مع سيف الدولة دون شعرائه لما عرفنا هذه الحقيقة عن ذلك الشاعر الكبير ولكنه ذكرها حيث يثنى عليه

على ان هذه الحالة وامثالها وان تكن لا تدل كل الدلالة على ضعف فضائل النفس في العرب المتحضرين ولكنها تعتبر من وجه الكذب في القول كدليل على ان كل حالات المدنية كانت كذلك ومتى امتنعت البساطة في القول وامتد الكذب واعوز الصدق في الاخبار والقسم فقد فسدت اخلاق النفس وحقاً لقد صدق المتنبي اذ قال

اتى الزمان بنوه في شبيبته فسرهم واتيناه على الهرم

فان في بيت هذا الرجل الذي اتهمناه بالكذب ما يرد عنه كل ما وصفناه به لانه جاء مصدقاً كل التصديق لان المدنية الاخيرة قد ساءت الانسان وقد كان ينعم بها ويسر قبل ان تكون اي ايام لم يكن هذا الاجتماع الانساني العظيم ولم يكن زخرف هذه المدنية الباطلة التي تسر الجسم وتسوء النفس وما ندري هل هذه الشرائع التي اختطها الانسان وكتبها في الدفاتر يحكم بها على اخلاق الناس جميعهم كأنهم انسان واحد ام كثرة اجتماع الناس واشتباك علاقاتهم قد اوجدت فيهم الحيلة والجهاد العظيم في سبيل الرزق حتى فشا الكذب وانقطعت الثقة ولكن الذي نراه ونشعر به ان هذه المدنية قد نقلت اخلاق البشر من انصلاح الى الفساد ودلتنا الدنيا على انه ليس فيها شيء مجاناً فان ذاك البدوي ذا العباءة كان وافر المدنية في اخلاق نفسه ولم يكن يستطيع صنع ابرة بيده وهذا الانسان الذي يكاد يصنع المعجزات بيديه الان لا

يستطيع ان يرد الفساد عن اخلاقه وسجاياه ولقد اعطتنا الدنيا شيئاً واخذت شيئاً والحمد لله على كل حال

آداب الكاتب

سئل احد افاضل الكتاب مرة عن رأيه في الكتابة وعن الطريقة المثلى التي ينبغي اتباعها فيها فاجاب على سؤال ذلك المسترشد بما محصله. اذا شئت ان تكون كاتباً حقيقياً وان يكون فضلك وادبك مقدورين حق قدرهما عند من يقرأوك فاكتب ببراع الذمة من مداد القلب على قرطاس الصدق والحقيقة دون اجهاد قريحة ولا كد ذهن وبغير تكلف ولا تعقيد. وفي هذا الكلام من اصالة الرأي واخلاص النصح ما هو جدير بالاعتبار وحقيق ان يعيه اكثر كتابنا الذين اذا لم تكن غالب كتاباتهم متماثلة في الحسن والاجادة وغير مقدورة حق قدرها وهم يتضجرون فلأن بعضهم ومنهم الادباء الحقيقيون يرهنون ذممهم ويتاجرون باقلامهم طلباً للرزق واحتيالاً على المعاش فلا يجيدون من جهة ولا يدركون المنزلة التي يطمحون اليها من التجيد والاقبال على ما يكتبون ثم لان البعض الاخر يكتب متطفلاً دخيلاً فلا يقطر من قلمه فكر يتمثل على القرطاس سطراً الا وقد قطر العرق من جبينه بحراً واوجع رأسه لفرط ما كد ذهنه واجهد قريحته. ونحن لا نلومه على تقصيره هذا كما اننا لا نستطيع ان نلوم الضعيف البنية الذي يعجز عن طلوع المرتقى الصعب بنفس السهولة التي يصعد بها القوي النشيط دون نصب او عناء فانما هي الطبيعة تجود على هذا من القوى بما بخلت به على ذاك

سنة لن تجد لها تبديلاً والا تساوى الناس كلها ولم يكن تفاوت ولا تمييز. ولكنا نلوم ذلك الكاتب الدخيل لانه كلف نفسه ما لا قبل لها عليه وما يكلف الله نفساً الا وسعها ولانه اقدم على الخوض في البحر العجاج وهو الذي يكاد يغرق في السواقي. ونحن لا نقول ذلك لحمل الكتاب المسترشدين على الاقلاع والرجوع عما باشروه في باديء امرهم فان الكتابة كغيرها من الصنائع تتقن بالمزاولة وتكسب بالممارسة ولا شيء في الدنيا يجتهد الانسان في تحصيله الا ويفوز منه بنصيب. ولكنا ننصح لمن طال عهده في مزاولة هذه الصناعة ولم يستسهل صعابها او لم يستفتح مغالقها وابوابها ان يقلع عنها اقلاعاً شريفاً ويرحم نفسه قبل ان يستهدف لمن لا يرحم قصوره وان لا يصر مقيماً على غروره قبل ان يصادف من يفضح غروره ولا غضاضة على من رغب عن عمل لا استعداد عنده للاجادة فيه الى عمل آخر قد يكون من الحذاق المجيدين له واذا كانت هذه هي نصيحتنا لمن يعد مقصراً في الكتابة وهو في الحقيقة عيب مقصور على صاحبه لا يكاد يتعداه الى سواه فانما هي نصيحتنا ايضاً للكاتب المجيد الذي جال في حلبة هذا الميدان فبلغ فيه شأواً بعيداً ودانت له جياد المعاني والبيان وادرك منزلة سامية ومكانة عليا في عالم الاداب جعلته يتكلم من اعلاها فلا ترى الا كل مؤمِّن على ما يقول فاما ان يكتب غير متاجر بذمته وضميره غير راهن قلمه لغرض من الاغراض والغايات الدنيئة السافلة مترفعاً عن الكذب والنفاق معرضاً عن الرياء والبهتان او ان يشج رأس القلم اذا لم يستطع الى غير ذلك سبيلاً وليتاجر ببيع السموم والخمور القتالة والحشيش وليقتل بها ما شاء من الجسوم والنفوس خير له من تضليل العقول والافكار والتمويه على الناس ونفسه